

لقد كنتُ حواءً وقد كنتُ آدمًا لئن كان ابليس الغرام يجربُ
 فاول كاسٍ من يدي قد جرعتها وفي الجرعة الاولى البلاء المحجبُ
 وهذا عقابي منك بالعدل نلتُه فحسبك من حالي المريع مؤنبُ
 فصالحها والدمع بغسل جرحها فيا لك حبا بالدموع تطيبُ
 وعاهدها الا يذوق مدامة وقد تاب حتى لم يكن منه اتوبُ
 ومرضاها حتى استنمت شفاءها وعاشا تمام العمر والعيش اطيبُ

رواية ابن الشعب

(التي مثلها الشيخ سلامه في هذا العام)

بقلم صاحب الجامعة

(تابع لما قبله)

وكان سفر جاني علي ما تقدم في الجزء السابق بعد موافرة بين ريشار وسكرتيره طمس . فان طمس اوهما انه ذاهب بها الى منزلها في البرية والحقيقة انه كان ينوي السفر بها الى فرنسا لايخرجها من انكلترا . ومن هناك يعرج على بلدة درلتن حيث عقد زواجها بريشار فينزل ضيفاً على كاهن القرية ويحاول التوصل الى مجل الكنيسة لتزويج عقد الزواج . وبينما كانت المركبة التي تحمل طمس وجاني سائرة في الاحراش خارج لندن كان شخص في ظلة الليل يرصد الطريق ويقول

لقد ابعدها ولم تجترم وهبت لها عاصفات العذاب
 لينعم من بعدها زوجها بمجدٍ وجام بغير حساب
 اجاني ان الحجي آفة ولو ان اهل الحجي في السحاب
 وابن العدالة والعدلوا ن فشيمة كل امرئ ان يحايي
 لقد ضقتُ ذرعاً بهذا المصا ب فماذا اعدت لهذا المصاب
 دهاني المشيب والكني اري في قواي نشاط الشباب
 وقد اغمض الليل اجفانه لكيلا يعز علي طلاي
 وهاتك مركبة عليها بجاني آخذة في اقتراب

وقد قربوا يا الهي فكُن بفضلك عوفي في كل ما بي
وكان قائل هذا القول مبراي نفسه وقد رصد هناك لانتقاذ جاني . فلما وصلت المركبة
هم مبراي لانتقاذها فقاومه طمس فنتبارزا فقتل مبراي طمس ثم سار بجاني في المركبة الى
منزلها القديم في البرية خارج لندن

وهنا وصلنا الى فصل الرواية الاخير . فان ريشار كان قد عزم في تلك الليلة على عقد
قرانه بابنة المريكز سيلفا وقرر اجراء العقد في منزله في البرية الذي سارت اليه جاني بعد
مقتل طمس . فلما وصل مبراي بجاني الى هذا المنزل قالت جاني باكية . ما الحيلة يا رباه
فانه لم يبق لدي ريب في انه يرغب في اخراجي من انكثرا ليخلص مني . بل ربما كانت
حياتي نفسها ثقيلة عليه . فقال مبراي تعزي يا جاني فقد بقيت لدي وسيلة لم استعملها
بعد ولكنني متى استعملتها سمحت بها كبرياء ريشار مخفياً واعدته الى الطريق القويم .
فقات جاني مدهوشة وما هي هذه الوسيلة . فقال هي كلمة واحدة اقولها له ومتى قلتها اصبح
ريشار تعيساً الى حد لا تذكر عنده تعاستك بجانب تعاسته . فقات جاني آه فدع ذلك
اذاً بجياتك لاني اكره تعذبه وافضل ان اتعذب وحدي . فقال كلاً يا جاني فانك لم
تطلعي بعد على جميع مقاصد ريشار . فانه كما قصر في ما يجب عليه لك قد اخذ يقصر في
ما يجب عليه لوطنه . واني اخشى ان يكون لفعله تأثير سيء على مستقبل انكثرا كلها . فقات
جاني فاصنع اذاً ما تراه حسناً

فسار مبراي يقصد لندن . وجلس جاني بعد مسيره بازاء النافذة في ظلمة ذلك الليل
تندب حظها وتقول :

أأندب حظي اوزماني الذي مضى	فما حرج ان اليتيمة تندب
دهتني صروف الدهر ما غادرت احاً	ولا تركت امّاً ولا دام لي اب
عجبت وهل في الناس مثلي شقية	على ان حالي لو درى الناس اعجب
يريح الدجى هذه العناصر كلها	واسهر وحدي في الدجى اتعذب
وما نقس الليل الذي مرّ بارداً	عليّ كنفاسي التي تنهب
وما هو الا الهم ان حلّ بامريء	فسيات ما باقي وما يتجنب

ثم قالت : ما اجمل هذه الطبيعة الهادئة تحت جنح هذا الظلام الدامس . كم قد وقفت
في هذه النافذة اعد نجوم السماء وانا مل في العمق الذي تحنها . آه عفواً يا اماء عما خطر
احياناً في بالي وانا واقفة هنا . فاني كم قلت اني اذا القيت بنفسي من هذا العلو الشاهق

مت واسترحت من عذابي . ترى متى يعود مبراي . ما هذا اني ارى مركبة على الطريق
وكان القادم ريشار نفسه وقد تقدم العروس واهلها مصطحباً خادمه لاعداد المكان قبل
وصولهم . فلما رآته جاني يدخل من باب الحديقة ارتعدت فرائصها لانه كان يظن انها سائرة
على طريق فرنسا . فاندفعت نحو احدى الغرف واخباأت بها من وجهه

ولما دخل ريشار امر خادمه فانار المصابيح والشموع ثم فتش في القاعة فوجد فيها قبعة
جاني . فقال لقد احسنت في انني تقدمتهم للتفتيش في المنزل . ثم اخذ القبعة وقال اذا
القيتها من النافذة فانهم سيرونها غداً في الحديقة وهذه الخزائن مقفلة فاين اضعها . فخطر له
ان يضعها في الغرفة الداخلية فتقدم الى الغرفة ففتحها لوضع القبعة فيها وكانت هي الغرفة التي
جعلتها جاني مخبأً لها . فلما فتح بابها صاحت جاني مذعورة :

فذعر ريشار وخطا الى وراء ثم تقدم وصاح من هذا . فاجابته : انا . انا . استجلفك
بالله ان لا تؤذيني . فقال وقد بلغ الغضب منه مبلغه : انت هنا ؟ انت هنا ؟ ائ شيطان
يردك الي . كما ظننت انني تخلصت منك . من اعادك الى هنا . تكلي تكلي

جاني - مبراي مبراي

ريشار - مبراي ؟ دوماً مبراي . اين هو لاصب غضبي على راس رجل لا على راس
امراة

جاني - قد سار الى لندن فغفوا عنه وعني

ريشار - وماذا جرى

جاني - لقد اوقف المركبة . .

ريشار - وبعد وبعد . قولي فقد كاد ينشق صدري

جاني - وبعد ذلك تبارزا . وقتل مبراي طمس

ريشار - ويل له

جاني - غفوا غفوا

ريشار - جاني جاني اسمعي

جاني - ها . هذا صوت مركبة

ريشار - نعم وهي فادمة بزوجتي واسرتها

جاني - (يحنون) زوجتك وانا من انا اذا

ريشار - بغضب شديد) انت . انت ملاكي الشرير . انت الهاوية التي ستبتلع

جميع آمالي . انت الشيطان الذي بدفني الى ارتكاب جنابة

جاني - آه يا الهي

ريشار - وليس الذنب ذنبي بل ذنبك لانني سالتك الرضى بالطلاق فأيت .
سالتك السفر من انكثرتا فلم تسافري

جاني - الآن ارضى . ارضى بكل ما تريد

ريشار - الآن قد فات الوقت

جاني - فماذا تصنع اذا ؟

ريشار - لا اعلم وانما صلي . .

جاني - (مذعورة) ريشار . ريشار ماذا تقول

ريشار - اسكتي . الا تسمعين صوت اقدامهم . آه . انهم سيدخلون ويجدون
امراة عندي . . فماذا اقول لهم

ثم هجم ريشار على جاني فصاحت جاني : المعونة المعونة . . الي الي . فامسك بها
ريشار وقال : اسمعي . يجب حين دخولهم الى هنا ان لا يجدوك في هذا المكان

جاني - ارحمني . ارحمني

ريشار - رحمتك كثيراً فلم تنفع رحمتي

ثم اخذها كالوحش الكاسر فسد فاها بكفه وحملها وهي تضطرب وتخنلج للتخلص منه
ثم تقدم بها من الشرفة المطلة على الحديقة والقاها منها الى الارض من ذلك العلو الشاهق .

وبعد ذلك عاد من جهة الشرفة وصفرة الموت تعلو وجهه والعرق يكسو جبينه

وان القلم ليقصر عن وصف هذا العمل الوحشي فنكتفي بما ذكرناه في احد الفصول
السابقة وهو : اذا لم يكن الرجل العظيم عادلاً مستقيماً كان وجوده آفة ووبلاً على الجنس

البشري

ولم يكدر ريشار بلبقي الشهيدة جاني من الشرفة الى الحديقة حتى 'قرع الباب . وكان
القادمون المركيز سيلفا وامراة وابنته العروس ووزير المالية وقد جاءوا لكتابة عقد الزواج

فلما دخلوا عليه قال له المركيز عفواً اذا كنا قد ازعجناك ايها السر ريشار لاننا راينا
الباب مقفلاً عليك . فاجاب ريشار متلعناً اهلاً وسهلاً . . لا لم اقفل الباب . وانما لا

اعلم كيف كان المفتاح في الداخل . فقدم اليه المركيز زوجته وابنته ثم قال له : اني اراك
اصفر اللون فهل تشكو المأ . فاجاب متلعناً : انا اصفر الوجه ؟ . هذا امر عرضي تفضلوا

واجلسوا . فقال المركيز لقد تفضل سعادة الوزير ورضي بان يكون شاهداً للعروس فهل لديك شاهدك . فقال ريشار لسنا في حاجة الى شهود . فلنوقع على صك الزواج . ثم تناول قلماً للتوقيع . فقال المركيز . ما لديك ترتجف يا امر ريشار . فاجاب . يدي ترتجف ؟ لا ولكنك انت ترى ذلك

ولما هم ريشار بالتوقيع على صك الزواج واذا بصوت من الباب يصيح به : ينقصك شاهد للزواج يا ريشار . فهاءنذا

وكان صاحب الصوت مبراي نفسه وقد عاد من لندن . وفي اثناء مروره بالحديقة رأى فيها جاني المسكنة جثة باردة ففهم السبب وهرع يجنون ليرى قاتلها . فالتفت اليه ريشار وقال بثبات جأش : سواء لدي انت ام رجل سواك . ثم دنا منه وقال همساً اياك ان تلفظ كلمة

مبراي - لا تتمدد . بل اترك التهديد لي

ريشار - « بغضب » وماذا تريد يا رجل ؟

مبراي - اخفض صوتك

ريشار - « بغضب » باي حق تطلب هذا الطلب

مبراي - انظر الى الشرفة . . .

ريشار - « مذعوراً » اخفض صوتك

مبراي - انت تعلم ماذا اقدر ان افعل بك بكلمة واحدة

ريشار - ولكنك لا تفعلها

مبراي - لماذا

ريشار - لانه لو لم يكن هناك مانع يمنعك لقلتها

مبراي - ريشار - لا اسكت عنها الا على شرط واحد

ريشار - وما هو

مبراي - ان تعدل عن الزواج بهذه الفتاة لامر ذي شأن وتستعني من مجلس العموم

ثم تهجر لندن وتذهب معي الى مكان منفرد . انت لتندم . وانا لابيكي

ريشار - انني ارفض طلبك

مبراي - رفضاً قطعياً ؟

ريشار - « ملتفتاً الى المركيز » وقع على الصك يا سيدي المركيز

وقد كان هذا الجدال بين ريشار ومبراي على انفراد فلم يسمعه احد غيرهما من الحاضرين فلما سمع مبراي كلام ريشار قال له : قف وعد الى رشدك والا ندمت حين لا يجدي

الندم

ريشار - (للمركيز) وقع يا سيدي

فصاح هنا مبراي باعلى صوته : مركيز سيلفا مركيز سيلفا

المركيز - ما تريد ؟

مبراي - اذكرك قرية درلتن

المركيز - ماذا تقول ؟ ...

مبراي - اذكرك تلك الليلة التي وصلت فيها الى تلك القرية وانت تفتش عن فتاة

مخطوفة

المركيز - الزم الصمت يا سيدي ...

مبراي - لا تخف فاني لا اذكر اسمها لانني احترمها . اذكرك انها وضعت في تلك

القرية غلاماً

المركيز - وبعد

مبراي - انك لم تشاهد ابا ذلك الغلام الا برهة ولكن ذلك كافٍ لان تعرفه . .

انظر الي

المركيز - آه . انت هو . .

مبراي - نعم انا هو .

المركيز - فاذا انت ...

مبراي - الجلاء . (ثم اشار الى ريشار) وهذا ابني

فقامت هاضجة في المكان . والتفت ريشار مصعوقاً نحو مبراي وقال بغضب : انت ابي ؟

وكيف تثبت ذلك بل اي غر لي بان تكون ابي . وهل من دلائل الابوة ان تقف كل

يوم في وجهي لمعاكسة اعمال وتحييب آمالي . كلاً انا لا اعرفك يا رجل ولا اريد ان

اعرفك

مبراي - كان لي عليك ايها الشاب حق الاحترام لشعري الابيض فقط . اما الآن

فصار لي عليك حق الابوة ايضاً . فاخفض من كبريائك يا ريشار درلتن الطامع المتكبر

واحترم حتي الطبيعي

ريشار - ولكن اذا كنت ابي فاين امي . اين تلك المرأة الملعونة التي هجرتني منذ ولادتي
وكانت اللادي ويلور زوجة المريكز سيلفا ترتعد ارتعاداً في اثناء الكلام المتقدم .
فلما سمعت ريشار يقول هذا القول انطرحت جائئة امامه وصاحت : ريشار لا تلغي
فصاحت ابنتها المس ويلور - ريشار اخي

فقال مبراي - نعم هذه امك وهذه اخنك من امك وكادت تكون زوجتك وهذه
زوجتك الحقيقية . وهنا دخل ثلاثة من الخدم يحملون جاني مضرجة بدمائها وهي مغنى عليها
ولما وضعت على المقعد افاق و قالت بصوت ضعيف - آه انني اموت

ريشار - (وقد دنا منها) جاني جاني احبي فاني احبك (١)
جاني - (منتبهة وقائلة بصوت ضعيف) ريشار . هذا انت ؟ تحبني ؟ . وزوجتك
الجديدة ؟

ريشار - هذه اختي لا زوجتي
جاني - كيف ؟

ريشار - نعم اختي اختي وليس لي من زوجة غيرك
جاني - آه هنيئاً لك . فانك وجدت اهلك . اما انا فاني ذاهبة الى اهلي . . آه
يا امي

ريشار - جاني هل تغفرين لي
جاني - آه . قل لي اولاً . احقيقي انك صرت تحبني
ريشار - بدون شك

جاني - « بصوت ضعيف متقطع » اذا اموت مستريحة . راضية . . غفر الله لك يا حبيبي
قالت هذا القول ثم اغمضت جفניה ولفظت روحها
فقال احد الحاضرين - هكذا فليكن حب الزوجات وطاعة النساء .
وقال قائل آخر - ان عيناً خفية تسهر على حرية الشعوب

وقال قائل ثالث - (مشيراً الى جثة جاني) ولكن قد تسقط في هذا السبيل ضحايا
تصدّع لها القلوب « تمت الرواية »

(١) هنا لان الجمهور يضحك بالرغم منه لكلام ريشار الثقيل . وهذا الضحك وان
كان في غير محله الا انه يدل على ان روح الجمهور وان كانت ساذجة قد فهمت ما في هذا
الكلام من الدناءة واللؤم